كاتب ليبي يصدر كتابه رقم 140 بينما مؤلفاته ممنوعة في ليبيا

محمد سعيد القشاط: الشعر الشعبي وسيلة تأريخ للشعوب

التاريخ الليبي يرويه الشعراء (لوحة للفنان معتوق بوراوي)

يعتبر الشعر الشعبي في شمال أفريقيا مدوّنة الشعوب التي من خلاله تخزن ذاكرتها وتروي أهم الأحداث التي مرت بها، مقدمة تفاصيل اجتماعية وثقافية وسياسية قد لا ينتبه إليها المؤرخون، ما يجعل من هذا الشعر وثيقة تاريخية حية لا بد للشعوب أن تحافظ عليها وهو ما يتصدى له الباحث والشاعر الشعبي الليبي محمد سعيد القشاط، الذي يقدم قراءة جريئة للتاريخ الليبي.

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

أصدر الكاتب والشاعر والباحث في تاريخ الأماكن والأنساب والتراث الشعبي الليبي والدبلوماسي السابق الدكتور محمد سعيد القشاط، كتابه رقم 140 ليحطم بذلك رقما قياسيا في عدد الإصدارات وتنوّع المضامين، التي تراوحت بين الجمع والتحقيق والتوثيق والتأريخ للقبائل والشخصيات والقصة والشعر الفصيح والشعبي والرسائل والمذكرات والموسوعات والأعلام.

والكتاب الجديد يحمل عنوان "أم الفار.. روضة الشعراء والشاعرات" وهو يهتم بمنطقة أم الفار المتاخمة للحدود المشتركة مع تونس على مستوى منطقة ذهيبة، ويتضمن سير أكثر من 100 شاعر شعبي من قبائل الصيعان التي ينتمي إليها القشاط، ومقتطفات من أشعارهم وعلى رأسهم الشاعر الكبير الراحل الشيخ بلقاسم بن زعيمة ورودوه عن الشعراء، ويهتم بعدد من الشاعرات من بينهن الشاعرة رميلة بنت بلقاسم بن زعيمة.

الشعر الشعبي

يقول القشاط الذي لا يزال مقيما في القاهرة "اهتممت بمنطقة أم الفار وموقعها في التاريخ والجغرافيا والجذور والتراث والعادات والتقاليد والأنساب، ووجدت أن أغلب العوائل تقول الشعر وتحفظه، فجمعت نماذج من أشعارها وضمنتها في هذا الكتاب الذي صادف أن كان رقم 140 في مسيرتي".

محمد سعيد القشاط

الشعر الشعبي في أغلب البلدان العربية هو مذكرات الشعب ويمكن اعتماده كمصدر لتاريخ البلد

ويضيف "كان لي في أم الفار صديق عزيز هو الشاعر الكبير المرحوم بلقاسم بن زعيمة الذي كانت بيني وبينه محاورات شعرية، ومن خلاله اكتشفت مجموعة من الشاعرات اللواتي كان يخفيهن الحياء والعادات الاجتماعية، فرأيت أن أجمع ما أستطيع جمعه من شعرهن مع شعر شعراء المنطقة وأنشره، عساه يكون مادة يستفيد منها محبو الأدب والباحثون فيه".

كما تعرض الكتاب لأحداث العام 2011 عندما تعرضت المنطقة لهجوم مسلحي الميليشيات فتم تشريد أهلها وحرق منازلهم ونهب أرزاقهم وخنق صوت الشعر لديهم.

وفي مقابلة مع "العرب" يتحدث القشاط عن بداياته مع الكتابة، يقول "كنت في أول حياتي قارئا نهما، إذ اطلعت على الآلاف من الكتب في الأدب والشعر والرواية والتاريخ والمذكرات الشخصية لأغلب عظماء العالم من الهند وباكستان والصين وروسيا ومن الغرب فرنسا وألمانيا وبريطانيا وأميركا. وما كتب عن الحربين العالميتين، وما كتبه الضباط الذين خاضوها، ومعظم ما كتبه العرب من تاريخ وشعر ومذكرات".

ويضيف "كانت ذاكرتي جيدة تستوعب كل ما أقرأ، ووهبني الله ملكة الشعر منذ الصغر، لقد كان والدي شاعرا وجدي لأمي شاعرا وأغلب رجال القبيلة شعراء. كنت أحفظ كل ما أسمع، وكانت خيمتنا تجمع الكثير من رجال القبيلة، إذ كان والدي شيخا على القبيلة. وكان كبار السن في القبيلة يروون تاريخ الجهاد ضد الاحتلالين العثماني والإيطالي والأحداث التي عاصروها والمعارك التي خاضوها، وصرت شغوفا بالتاريخ، وانضممت للحركة الكشفية. وعرفني المرحوم الأستاذ علي خليفة الزائدي بجماعة من الكشافين بلبنان يملكون مطبعة ودارا للنشر، فطبعت عندهم أول كتاب في الشعر الشعبي، وهو أول كتاب ينشر في ليبيا في هذا المجال عام 1964، وواصلت بعدها النشر".

واعتبر القشاط أن منزل الأسرة كان مدرسته الأولى التي تعلم فيها الاهتمام بالتاريخ والأنساب والشعر، وأضاف "أنا ولدت في الصحراء.. ولما شببت عن الطوق تنقلت في صحراء ليبيا وكنت مغرما بالصيد. ففي كل واد لي ذكرى. وكل 'قرعاة' لي فيها ذكريات. والجوش هي أول قرية رأيتها في حياتي، وتعلمت في مدرستها المرحلة الابتدائية. وكان البدو يتنقلون في الصحراء تقودهم المطر. ويتركون أولادهم عند أصحابهم من أهل الجوش يدرسون. فيعاملونهم كأبنائهم، وأنا كنت من ضمنهم. ولذلك فإن لهذه البلدة جميلا في أعناقنا. رأيت أن أسجل تاريخها وعاداتها وتقاليدها في كتاب ردا للجميل".

وحول تعدد المواضيع والاهتمامات لديه، يرى القشاط أنها تنبع من معين واحد، فالحديث عن الأعلام تاريخ، والأنساب تاريخ، والشعر في الكثير من قصائده يسجل أحداثا تاريخية. وقد اعتمدوه كوثيقة تاريخية ولاسيما في علاقة بحياة البدو ومعاركهم وصراعاتهم ومقاومتهم للغزاة، ولا يزال إلى اليوم يوثق الأحداث بدقة كبيرة ولاسيما في المجتمعات البدوية حيث يبقى الشعر ديوان العرب وأداتهم الأولى للتعبير وتسجيل الانفعالات ورصد التحولات.

ويردف القشاط "الشعر الشعبي في ليبيا وفي أغلب البلدان العربية هو مذكرات الشعب وتسجيل للأحداث واعتمدنا عليه في ليبيا وتونس كمصدر لتاريخ البلد. وقد كان الباحث في التراث وأحد أبرز رموز الثقافة التونسية المرحوم الأستاذ محمد المرزوقي أول من نبه لهذا".

حول كتابه "إلى سلمى" الصادر في يوليو الماضي، يقول القشاط "سلمى هي ابنتي الكبرى، وأمينة مكتبتي التي كانت تديرها فتقرأ كل ما تقع عليه يدها من الكتب. وكانت تقرأ مسودات كتبي قبل طباعتها. وفي الهجرة تركت أغلب الأبناء في طرابلس، ومن ضمنهم سلمى. فرأيت أن أخصص لها كتابا عبارة عن رسالة أحكي لها فيها تاريخ الأسرة والأحداث التي لم تشهدها سواء في ليبيا أو في الوطن العربي، وأروي لها تفاصيل حياتي في المهجر بعد عدوان الناتو على بلدي في العام 2011، وما تعرضت له بيوتنا من تخريب وممتلكاتنا من نهب حتى أن مكتبتي التي كانت تضم ما لا يقل عن 30 ألف كتاب جمعتها منذ بداياتي وأكثر من 400 مخطوطة وما لا يقل عن 1000 ساعة من التسجيلات النادرة مع مقاومين وشعراء، تعرضت للحرق والإتلاف بالكامل، وهي خسارة لا تعوض تأملت لها كثيرا".

وحول مخطوطاته ومراجعه التي خسرها بحرق مكتبته يقول القشاط "هي خسارة فادحة دون شك، ولكنني والحمد لله أملك ذاكرة قوية للحفظ حتى أن بعض الكتب التي كنت أعددتها للطبع وتعرضت للإتلاف، أعدت كتابتها من الذاكرة، وكتبت حوالي سبعة كتب نشرتها في تونس، ونشرت في مصر كتابا، فيما هناك حوالي 14 مخطوطا لا تزال في انتظار النشر".

التأريخ بجرأة

نسأل الدكتور القشاط عن مدى صدقية سرد الأحداث في ما يتعلق باهتمامه بتاريخ القبائل، وما إذا كان قادرا على ذكر الوقائع دون مجاملات، ولاسيما من حيث التطرق للخيانات والتعاملات مع المستعمر الإيطالي التي حاولت الدولة الوطنية سواء في العهد الملكي أو "الجماهيري" التستر عليها من باب الحفاظ على السلم الأهلي، فيقول "نحن في ليبيا مع الأسف، وعند دخول الطليان لاستعمار ليبيا انضمت بعض الزعامات للعدو، وشكلت جماعات مسلحة وقاتلت معه، وساهمت في استعمار وطنها. وهكذا فعل الاستعمار الفرنسي أو الإنجليزي في البلدان التي احتلها حيث جند البعض من المواطنين ليساعدوه على احتلال أوطانهم".

ويضيف "كان المؤرخون الذين كتبوا قبلي في هذه المواضيع يتجنبون ذكر الخيانات لأن أبناء وأحفاد الخونة يحتلون مراكز في الدولة، وكتبت أنا الحقائق كما هي. وذكرت الخونة والخيانات وتجنّد أولادهم وأحفادهم يتهمونني بالتزوير. طلبت منهم مناظرتي في الجامعة، أو في مركز جهاد الليبيين أو في التلفزيون. وتمت مناظرة في مركز الجهاد، ودمغتهم بالحجج والوثائق. ومع ذلك استمروا في دعاياتهم. ولا أزال أطالبهم للمناظرة".

وحول دور القبيلة في المشهد السياسي الليبي الحالي، يقول القشاط "القبيلة مكون اجتماعي مهم ولكنه لن يكون مؤثرا في سياسة البلد.

وقد يوضح لنا تاريخ القبائل أنها تتبع قادتها (مشائخها) فالشيخ الذي ينضم للعدو تذهب معه القبيلة. والذي يستمر في النضال تكون معه القبيلة".

نسأل القشاط عن "الكتاب الأزرق" الذي تطرق من خلاله للحل السياسي والاجتماعي للأزمة الليبية، فيجيبنا "هو رؤية للحلّ في ليبيا. واتفقت حوله مع المشير خليفة حفتر عندما جاءني إلى الجزائر حيث كنت أقيم بعد 2011 وهو يعد لمشروعه العسكري. نشرت هذا الكتاب ليطلع عليه الليبيون علّهم يستفيدون من بعض أفكاره".

أما عن مبدأ المصالحة الوطنية فيقول إنها "لن تتم قبل رحيل القوات الأجنبية من ليبيا وحل الميليشيات وتجميع السلاح ووضعه تحت سيطرة الجيش وإخراج المرتزقة من ليبيا، وإطلاق سراح المساجين والسجينات. وقتها يجتمع الليبيون وتجري المصالحة ويتم تعويض المتضررين، ويقر الليبيون نظام الحكم والعلم والنشيد".

وكان القشاط قد أصدر عددا من المؤلفات حول أحداث 2011، ومنه كتابه "أنا والقذافي وبن علي" الذي يروي فيه قصة لقائه وهو سفير لبلاده في الرياض، مع الرئيس التونسي الأسبق زين العابدين بن علي، بعد أيام قليلة من وصوله إلى مدينة جدة السعودية، وذلك بطلب من الزعيم الراحل معمّر القذافي، ويقدم فيه رواية مختلفة عما تم ترويجه آنذاك، كما نشر موسوعة "معارف والقذافي يتحدثون" والذي ضمنه شهادات من كانوا مقربين من الزعيم الليبي قبل الإطاحة بنظامه.

وفي هذا السياق يؤكد القشاط أن كتبه ممنوعة من العرض في ليبيا بأمر من سلطات طرابلس، التي يقول إنها تسعى إلى كتابة التاريخ وفق وجهة نظرها وبما يخدم مصالحها.

جائزة زايد للكتاب صوت الأدب العربي في معرض فرانكفورت

أبوظبي – تشارك جائزة الشيخ زايد للكتاب في مركز أبوظبي للغة العربية، التابع لدائرة الثقافة والسياحة – أبوظبي، في النسخة الثالثة والسبعين من معرض فرانكفورت الدولي للكتاب 2021، الذي تُقام فعالياته بين العشرين والرابع والعشرين من أكتوبر الجاري تحت شعار "إعادة اللقاء".

وتشارك الجائزة بمنصة خاصة ضمن جناح مركز أبوظبي للغة العربية المشارك في المعرض، لتقدم أجندة حافلة بالفعاليات الثقافية النوعية التي تتضمن تنظيم ثلاث جلسات حوارية، تغطي مجموعة من أبرز الموضوعات التي تثري نقاشات المعرض، وتستقطب اهتمام زوّاره من المؤلفين والناشرين على حدّ سواء.

وستُبثّ هذه الجلسات النقاشية باللغة الإنجليزية مباشرة عبر أستديو فرانكفورت، وستُعرض باللغة العربية بعد انتهائها عبر قناة الجائزة على اليوتيوب لضمان إيصالها إلى أكبر عدد من الجمهور من حول العالم.

وقال الدكتور علي بن تميم، الأمين العام لجائزة الشيخ زايد للكتاب رئيس مركز أبوظبي للغة العربية "تمتلك الجائزة تاريخا حافلا بالمشاركات في معرض فرانكفورت الدولي للكتاب؛ الذي يُعدّ واحدا من أهم الأحداث العالمية في الأدب والنشر. وتحظى مشاركتنا في هذا الحدث العالمي بأهمية بالغة بالنسبة إلينا؛ لما يُشكّله من منصة مثالية لتحقيق مهمتنا المتمثلة في تعزيز مكانة اللُّغة والأدب العربي على مستوى العالم؛ لاسيما أنه يجمع نخبة من كبار المؤلفين والناشرين والشخصيات المؤثرة من العالم الأدبي مع القرّاء تحت مظلة واحدة".

وأضاف بن تميم "العلاقة بين الثقافتين العربية والألمانية متأصلة ذات جذور عميقة، ونشهد اليوم من خلال ما توفره المنصّات المعرفية الرائدة عالميا المزيد من التلاقي بين الأدبين العربي والألماني، بما يتوافق بشكل كبير مع المهمة الرئيسة للجائزة المتمثلة في تعزيز التبادل الثقافي، والاحتفاء بالمؤلفين من جميع أنحاء العالم ممن يكتبون عن الثقافة والحضارة العربية بلغاتهم".

وتُعقد الجلسة الأولى للجائزة تحت عنوان "الأدب العربي لا حدود للإبداع" صباح الحادي والعشرين من أكتوبر، وتُقام بالتعاون مع مجلة "بيبليشينغ بيرسبكتيفز"، المجلة الأميركية الرائدة في قطاع نشر الكتب العالمية والتابعة لمعرض فرانكفورت للكتاب.

وتبحث الجلسة في الأسباب التي تَحول دون ترجمة أعمال الكثير من كبار الكتّاب العرب ووصولها إلى العالمية، وتُركّز على آليات تمكين الناشرين للتعرف على أبرز أعمال الأدب العربي الكلاسيكيّة والحديثة التي يمكنها إثراء الثقافة العالمية.

ويُدير الجلسة بورتر أندرسون، رئيس تحرير مجلة "بيبليشينغ بيرسبكتيفز"، ويُشارك فيها كلّ من كيفن بلانكشيب، الشاعر والناقد والمترجم، وهو أيضا أستاذ مساعد في الأدب العربي في جامعة بريغهام يونغ الأميركية، وتشيب روسيتي مدير تحرير مكتبة الأدب العربي، وياسمينة جريصاتي مديرة النشر في ستوريتل دبي ومؤسسة وكالة راية الأدبية.

وتتناول الجلسة الثانية للجائزة موضوع "نشرُ الكتب العربية – الفرصُ والتحديات" وتُعقد في ثالث أيام المعرض بتاريخ الثاني والعشرين من أكتوبر، وتُنَظّم بالتعاون مع مؤسسة "ليتبروم الثقافية" التابعة لمعرض فرانكفورت للكتاب.

وتناقش الجلسة الأسبابَ المعيقة لدخول أعمال الأدب العربي إلى الأسواق الغربية، وما هي العناوين والموضوعات التي تثير اهتمام القراء العالميين وتحقق مبيعات جيدة، وكيف يمكن دعم نشر الأدب العربي في الخارج. وعلى نحو معاكس، ستستعرض الجلسة كتبا لمؤلفين غير عرب مؤهلة بموضوعاتها المعرفية وعناوينها الشيقة لأن تحظى باهتمام القرّاء العرب.

الجائزة تنظم ثلاث جلسات حول قضايا الأدب العربي الراهنة وتعرض عددا من الكتب العربية التي ترجمتها

ويتحدث في الجلسة كل من رشا الأمير الناشرة في دار الجديد، الدار الفائزة بجائزة الشيخ زايد للكتاب عام 2021 في فرع النشر والتقنيات الثقافية، وياسمينة جريصاتي مديرة النشر في ستوريتل دبي، ومؤسسة وكالة راية الأدبية، وبيرو سالابي محرر مجلة "هينريك فيرلاج" الألمانية، فيما تدير الجلسة لينا بوب المحررة الصحافية في صحيفة فرانكفورتر الألمانية "FAZ".

وتناقش الجلسة الثالثة للجائزة موضوع "كتاب الطفل بين تبسيط السرد وتعقيد الفكرة" التي تُقام بالتعاون مع مؤسسة "ليتبروم الثقافية" في الثاني والعشرين من أكتوبر، الأهمية الكبيرة لتطوير مهارات المتخصصين في كتابة الأعمال الأدبية للأطفال، حيث سيستعرض المتحدثون عدة محاور؛ منها، تحدّيات تأليف كتب أدب الطفل وترجمتها ونشرها، نوع الأدب الذي يُعد مناسبا للأطفال، وما الشكل الذي يجب أن يتخذه من الناحية اللغوية والسردية والعلاقة بين النص والصورة.

وتشهد الجلسة التي تُديرها المترجمة ليلى شمّاع، مشاركة كلّ من ابتسام بركات الكاتبة والفنانة الفائزة بجائزة الشيخ زايد للكتاب 2020 لأدب الطفل عن كتابها "الفتاة الليلكية"، ومجيد مهيت الناشر والمدير التنفيذي لدار نشر "سوجيت فيرلاج"، بالإضافة إلى المؤلف والمترجم سليمان توفيق.

وستعرض جائزة الشيخ زايد للكتاب في جناح مركز أبوظبي للغة العربية في القاعة "4.1 / G5" مجموعة مختارة من أعمالها المميزة التي تُرجمت حديثا، والتي أثمرت عنها منحة الترجمة التي قدمتها الجائزة في عام 2021.

وتُكرّم جائزة الشيخ زايد للكتاب – التي أطلقت في عام 2006، بهدف تعزيز الأدب والثقافة العربية – الإنجازات المتميزة للمبدعين والمفكرين في مجالات الأدب والفنون والعلوم الإنسانية باللغة العربية واللغات الأخرى، وتوفّر فرصا جديدة للكتّاب الناطقين باللغة العربية. كما تُكرّم المؤلفين الذين يكتبون عن الثقافة والحضارة العربية باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والإسبانية والروسية.